

التلقي للتنفيذ 1438/6/11هـ

د. ناصر بن محمد الأحمد

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله ..

أما بعد: أيها المسلمون: إن النصوص الشرعية التي نحفظها أو نسمعها من نصوص الكتاب والسنة ما هي إلاّ للتطبيق والتنفيذ. تلقي النصوص الشرعية لتنفيذ ما فيها من أوامر وتطبيق ما فيها من أحكام من سمات التربية الجادة التي تُفترض في أفراد الأمة الإسلامية. وهذه السمة تحتاج إلى رصيد من الإيمان القوي والتربية الزاكية. ولقد دلت النصوص الشرعية على أهمية التنفيذ بعد التلقي في أكثر من آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب : 36]** وقال تعالى: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجًا مِّمَّا قُضِيَتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء : 65]** ولقد ابتلى الله صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم بآية في كتاب الله وقفوا منها موقف المتلقي للتنفيذ المشفق على نفسه من القصور، مع شعور قوي بمسؤولية الأمانة تجاه أنفسهم في تلقي أحكام النصوص الشرعية فظنوا أنهم عاجزون عن العمل بمقتضاها، فراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها إشفاقاً على أنفسهم لا اعتراضاً، ومع ذلك سمعوا

وأطاعوا، فنسخ الله حكمها وبقي لفظها. وكم من سامع لها بعدهم ممن لا يحمل همّ التلقي للتنفيذ يمر عليها لا يحسب لها حساباً، ولا يقف عندها بل يستوي الأمر عنده: أنسخت الآية، أم لم تنسخ!. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة : 284] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كُلفنا من الأعمال ما نطبق: الصلاة والجهاد والصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة : 285]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل عز وجل: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [البقرة : 286] (قال: نعم) (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا) (قال: نعم) (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا

مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) (قال: نعم) (وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (قال: نعم). رواه مسلم.

أيها المسلمون: إن الغاية من الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة هي العمل بها بتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيها. قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) [النساء : 64]، وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر : 7]. قال الخطيب البغدادي: "والعلم يراد للعمل، كما يراد العمل للنجاة، فإذا كان العلم قاصراً عن العمل، كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاداً كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً". انتهى ..

إن الله عاب على أمم سابقة ما تلقوا به النصوص الشرعية فقال عنهم: (قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [البقرة : 93]، وقال تعالى عن اليهود خاصة: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الجمعة : 5].

إن الإعراض عن آيات الله بتعطيل أحكامها من أعظم صور الظلم. قال الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا) [الكهف : 57].

إن الإنسان محاسب ومسؤول يوم القيامة عن علمه كما ثبت من حديث أبي برزة الأسلمي أنه قال: قال رسول الله: "لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل

عن أربع: عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه". رواه الترمذي.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على نفسي أن يقال لي: يا عويمر هل علمت؟ فأقول: نعم، فيقال: فماذا عملت فيما علمت؟.

إن الأقوال الصالحة مرهونة بالأعمال الصالحة، فقد قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، من قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، وذلك بأن الله تعالى يقول: **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)** [فاطر : 10].

إن العلم النافع لا بد له من العمل وإلا صار حجة على صاحبه، والعلم إن لم ينفع فإنه يضر.

فيا عباد الله: إن هذه الآيات التي نسمعها ونحفظها، ومثلها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الأحكام الشرعية التي نعرفها وتعلمناها، ما هي إلا للتطبيق والتنفيذ، فإن لم تكن حجة لنا فهي حجة علينا. ولهذا فإن من صور الخلل والانحراف جعل النصوص الشرعية للتزود الثقافي، وانحصار استخدامها في الخطابات الإنشائية التي لا رصيد لها في الواقع ولا تأثير لها في تصريف مجرياته. ومثلها ضعف تعظيم كلام الله تعالى وكلام رسوله، وذلك بالاعتراض عليهما بآراء العقول وتصورات الأفهام التي يبعثها الواقع المنحرف وهوى الأنفس.

وكذلك ضعف الالتزام بالآداب الشرعية والأحكام المرعية، تكاسلاً وتساهلاً وعدم الاكتراث بترك السنن والمستحبات، بل قد يصل الأمر إلى ترك الواجبات والأركان بلا خوف أو ندم، فكل هذه المظاهر وما شابهها منذرٌ بشرّ والعياذ بالله.

أيها المسلمون: من أسمى الصور التي تتحقق فيها سمة التلقي للتنفيذ، تلك الصورة التي يتلقى فيها المؤمن الحث على أعمال مستحبة غير ملزم بفعلها، فيأخذها مأخذ العزيمة، ويلتزم بما فيها من أعمال من لحظة تلقيه للنصوص الشرعية بلا تردد أو تكاسل أو انقطاع أو فتور، وهذه بعض النماذج المشرقة التي تتجلى فيها هذه الصفة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ نزل عليه: **(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)** [النصر: 1] يصلي صلاة إلا قال فيها: "سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفر لي". رواه مسلم. إنه التلقي للتنفيذ.

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "نِعَمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل". قال سالم: "فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً". رواه البخاري ومسلم. إنه التلقي للتنفيذ.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة

وأصيلاً. فقال رسول الله: "من القائل كلمة كذا وكذا؟". قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله! قال: "عجبتُ لها! فتحت لها أبواب السماء". قال ابن عمر: فما تركتهنّ منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك. رواه مسلم. إنه التلقي للتنفيذ.

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، قال: سمعت أبي رضي الله عنه، وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله: "إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف"، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتِل. رواه مسلم. إنه التلقي للتنفيذ.

وعن علي رضي الله عنه قال: اشتكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من الرحي في يدها، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبيّ فانطلقت فلم تجده، فأخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليه، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي: على مكانكما. فقعدي بيننا، ثم قال: "ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم". قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي. قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. رواه مسلم. إنه التلقي للتنفيذ.

وقال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو خالد يعني سليمان بن حيان عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه [يُسَرَّ به] قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُني له بهن بيت في الجنة". قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله. وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. قال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس. إنه التلقي للتنفيذ.

وعن أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من ركع أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها حرم الله عز وجل لحمه عن النار. قالت: فما تركتهن منذ سمعتهن. رواه الإمام أحمد والنسائي. إنه التلقي للتنفيذ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي. رواه مسلم. إنه التلقي للتنفيذ.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه". رواه البخاري ومسلم. قال ابن القيم رحمه الله: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما كنت أرى أحداً يعقل ينাম قبل أن يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة". إنه التلقي للتنفيذ.

قال البخاري رحمه الله: "ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام. إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً". إنه التلقي للتنفيذ.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال: "من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت". رواه النسائي. قال ابن القيم رحمه الله: بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: "ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه". إنه التلقي للتنفيذ.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحمام ديناراً حين احتجمت". إنه التلقي للتنفيذ.

بارك الله ..

الخطبة الثانية:

الحمد لله ..

أما بعد: أيها المسلمون: إن الذي ميّز جيل السلف الصالح عموماً وجيل الصحابة خصوصاً هي قضية التلقي للتنفيذ!. شعور التلقي للتنفيذ. كانوا عندما تُلقى إليهم الأحكام الشرعية يخلطونها بذواتهم، فيتحول في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي، وإلى قضايا شرعية متحركة لا تبقى داخل الأذهان، وإنما تتحول آثاراً وأحداثاً تحوّل خط سير الحياة، وهذا هو السرّ الذي جعل حياتهم ليس كحياتنا، لأنهم كانوا يتلقون للتنفيذ، ونحن نتلقى ولا ننفذ.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية وأحكام الشريعة، لا تمنح كنوزها إلا لمن يُقبل عليه بروح التلقي للتنفيذ، روح المعرفة المنشئة للعمل. إن القرآن لم يجيء ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ، وإن كان هذا كله من محتوياته، إنما جاء ليكون منهاج حياة، منهاجاً إلهياً خالصاً. جاء للتلقي والتنفيذ. أيها المسلمون: إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل، هو الذي صنع قادة الأمة، وعلماء الأمة، وزعماء العالم في كل مجال. إن منهج التلقي للتنفيذ هو الذي غير وجه التاريخ، وهو الذي نقل البشرية من الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل والظلمات إلى العلم والنور.

إن منهج التلقي للتنفيذ هو الذي خرّج أولئك الرجال الذين ضربوا أروع الأمثلة في البذل والتضحية والجهد والعلم والدعوة، بل وفي كل مجال. ولولا أن الذين نقلوا

إلينا أخبار القوم ثقات وعدول في نقلهم، فإن العقل أحياناً يقف حيراناً حول
تصديق بعض القصص والأخبار في صدق وسرعة التلقي للتنفيذ.

.. اللهم